

تفسير ابن كثير

ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سَبِيلَ رَبِّكَ ذُلًّا ^ج يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلَفٌ
أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ^ق إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ

ثم أذن لها تعالى إذنا قدريا تسخيريا أن تأكل من كل الثمرات ، وأن تسلك الطرق التي جعلها الله تعالى لها مذلة ، أي : سهلة عليها حيث شاءت في هذا الجو العظيم والبراري الشاسعة ، والأودية والجبال الشاهقة ، ثم تعود كل واحدة منها إلى موضعها وبيتها ، لا تحيد عنه يمنا ولا يسرة ، بل إلى بيتها وما لها فيه من فراخ وعسل ، فتبني الشمع من أجنحتها ، وتقيء العسل من فيها وتبيض الفراخ من دبرها ، ثم تصبح إلى مراعيها . وقال قتادة ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : (فاسلكي سبل ربك ذللا) أي : مطيعة . فجعله حالا من السالكة . قال ابن زيد : وهو كقول الله تعالى : (وذللناها لهم فمنا ركوبهم ومنها يأكلون) [يس : 72] قال : ألا ترى أنهم ينقلون النحل من بيوته من بلد إلى بلد وهو يصحبهم . والقول الأول أظهر ، وهو أنه حال من الطريق ، أي : فاسلكيها مذلة لك ، نص عليه مجاهد . وقال ابن جرير : كلا القولين صحيح . وقد قال أبو يعلى الموصلي :

حدثنا شيبان بن فروخ ، حدثنا سكين بن عبد العزيز ، عن أنس قال : قال رسول الله -

صلى الله عليه وسلم - : " عمر الذباب أربعون يوماً ، والذباب كله في النار إلا النحل "

وقوله تعالى (يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه) أي : ما بين أبيض وأصفر وأحمر

وغير ذلك من الألوان الحسنة ، على اختلاف مراعيها ومأكلاها منها . وقوله : (فيه شفاء

للناس) أي : في العسل شفاء للناس من أدواء تعرض لهم . قال بعض من تكلم على الطب

النبي : لو قال فيه : " الشفاء للناس " لكان دواء لكل داء ، ولكن قال (فيه شفاء للناس

(أي : يصلح لكل أحد من أدواء باردة ، فإنه حار ، والشئ يداوى بضده . وقال مجاهد

بن جبر في قوله : (فيه شفاء للناس) يعني : القرآن . وهذا قول صحيح في نفسه ، ولكن

ليس هو الظاهر هاهنا من سياق الآية ؛ فإن الآية إنما ذكر فيها العسل ، ولم يتابع مجاهد

على قوله هاهنا ، وإنما الذي قاله ذكره في قوله تعالى : (ونزل من القرآن ما هو شفاء

ورحمة للمؤمنين) الآية [الإسراء : 82] . وقوله تعالى : (يا أيها الناس قد جاءكم

موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) [يونس : 57]

والدليل على أن المراد بقوله تعالى : (فيه شفاء للناس) هو العسل - الحديث الذي رواه

البخاري ومسلم في صحيحيهما من رواية قتادة ، عن أبي المتوكل علي بن داود الناجي ،
عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : جاء رجل إلى رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - فقال : إن أخي استطلق بطنه . فقال : " اسقه عسلا " . فسقاه عسلا ثم جاء
فقال : يا رسول الله ، سقيته عسلا فما زاده إلا استطلاقا ، قال : " اذهب فاسقه عسلا " .
فذهب فسقاه ، ثم جاء فقال : يا رسول الله ، ما زاده إلا استطلاقا ، فقال رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - : " صدق الله ، وكذب بطن أخيك ، اذهب فاسقه عسلا " . فذهب
فسقاه فبرئ . قال بعض العلماء بالطب : كان هذا الرجل عنده فضلات ، فلما سقاه عسلا
وهو حار تحللت ، فأسرعت في الاندفاع ، فزاد إسهاله ، فاعتقد الأعرابي أن هذا يضره
وهو مصلحة لأخيه ، ثم سقاه فازداد التحليل والدفع ، ثم سقاه فكذاك ، فلما اندفعت
الفضلات الفاسدة المضرة بالبدن استمسك بطنه ، وصلاح مزاجه ، واندفعت الأسقام
والآلام ببركة إشارته - عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام - . وفي الصحيحين من حديث
هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، - رضي الله عنها - أن رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - كان يعجبه الحلواء والعسل . هذا لفظ البخاري . وفي صحيح البخاري : من

حديث سالم الأفتس ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - : " الشفاء في ثلاثة : في شرطة محجم ، أو شربة عسل ، أو كية بنار ،
وأنهى أمي عن الكي " . وقال البخاري : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا عبد الرحمن بن الغسيل ،
عن عاصم بن عمر بن قتادة ، سمعت جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - يقول : " إن كان في شيء من أدويتكم ، أو يكون في شيء من أدويتكم
خير : ففي شرطة محجم ، أو شربة عسل ، أو لدعة بنار توافق الداء ، وما أحب أن أكتوي
" . ورواه مسلم من حديث عاصم بن عمر بن قتادة ، عن جابر به . وقال الإمام أحمد :
حدثنا علي بن إسحاق ، أنبأنا عبد الله ، أنبأنا سعيد بن أبي أيوب ، حدثنا عبد الله بن
الوليد ، عن أبي الخير ، عن عقبة بن عامر الجهني قال : قال رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - : " ثلاث إن كان في شيء شفاء : فشرطة محجم ، أو شربة عسل ، أو كية تصيب
ألما ، وأنا أكره الكي ولا أحبه " . ورواه الطبراني عن هارون بن ملول المصري ، عن أبي
عبد الرحمن المقرئ ، [عن حيوة بن شريح] عن عبد الله بن الوليد به . ولفظه : " إن
كان في شيء شفاء : فشرطة محجم " وذكره وهذا إسناد صحيح ولم يخرجوه . وقال

الإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني في سننه : حدثنا علي بن سلمة - هو
اللبقي - حدثنا زيد بن الحباب ، حدثنا سفيان عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن
عبد الله - هو ابن مسعود - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " عليكم
بالشفاءين : العسل والقرآن " . وهذا إسناد جيد ، تفرد بإخراجه ابن ماجه مرفوعا . وقد رواه
ابن جرير ، عن سفيان بن وكيع ، عن أبيه ، عن سفيان - هو الثوري - به موقوفا : ولهو
أشبهه . وروينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أنه قال : إذا أراد
أحدكم الشفاء فليكتب آية من كتاب الله في صحيفة ، وليغسلها بماء السماء ، وليأخذ من
امراته درهما عن طيب نفس منها ، فليشتر به عسلا فليشربه بذلك ، فإنه شفاء . أي : من
وجوه ، قال الله : (ونزل من القرآن ما هو شفاء) [الإسراء : 82] وقال : (ونزلنا من
السماء ماء مباركا) [ق : 9] وقال : (فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا
مريئا) [النساء : 4] وقال في العسل : (فيه شفاء للناس) وقال ابن ماجه أيضا : حدثنا
محمود بن خدّاش ، حدثنا سعيد بن زكريا القرشي ، حدثنا الزبير بن سعيد الهاشمي ، عن
عبد الحميد بن سالم ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " من

لعق العسل ثلاث غدوات في كل شهر لم يصبه عظيم من البلاء " .الزبير بن سعيد متروك
وقال ابن ماجه أيضا : حدثنا إبراهيم بن محمد بن يوسف بن سرح الفريابي ، حدثنا عمرو
بن بكر السكسكي ، حدثنا إبراهيم بن أبي عبلة . سمعت أبا أبي بن أم حرام - وكان قد
صلى القبلتين - يقول : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : " عليكم بالسنن
والسنن ، فإن فيهما شفاء من كل داء إلا السام " . قيل : يا رسول الله ، وما السام ؟
قال : " الموت " . قال عمرو : قال ابن أبي عبلة : " السنن " : الشبت . وقال آخرون : بل
هو العسل الذي [يكون] في زقاق السمن ، وهو قول الشاعر :هم السمن بالسنن لا ألس
فيهم وهم يمنعون الجار أن يقردا كذا رواه ابن ماجه . وقوله : " لا ألس فيهم " أي : لا
خلط . وقوله : " يمنعون الجار أن يقردا " [أي يضطهد ويظلم] . وقوله : (إن في ذلك
لآية لقوم يتفكرون) أي : إن في إلهام الله لهذه الدواب الضعيفة الخلقة إلى السلوك في
هذه المهامة والاجتناء من سائر الثمار ، ثم جمعها للشمع والعسل ، وهو من أطيب
الأشياء ، (لآية لقوم يتفكرون) في عظمة خالقها ومقدرها ومسخرها وميسرها ، فيستدلون
بذلك على أنه [الفاعل] القادر ، الحكيم العليم ، الكريم الرحيم .